الغـــيرة .. !!

تطلع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الوراء ، فإذا به يجد زوجته كعادتها بين الصفوف قائمة للصلاة بين يدى الله سبحانه وتعالى ؛ فاكفهر وجهه ، وحال لونه ، ووجد فى قلبه لذعة محرقة ، ووخزة مضنية ، فله طبيعة خاصة ، وسجية تؤلمه فى كثير من الأحايين .

لقد كانت زوجته تصلى مع خيرة النسوة ، الصحابيات الجليلات فى مسجد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فأى شىء فى هذا ؟ لا شىء أبداً ، إنها المحافظة على الانتفاع بالخير والعلم والفضل ؛ والبركات الغامرة ، التى يفيضها الله سبحانه وتعالى ... إنها فرصة سانحة ، يحظى من لم ينتهزها و يحصل عليها ، بل أكبر المخطئين .

فى مسجد الرسول دائماً يساق الخير ، و يفيض الله الرحمة على عباده ، ويشملهم بعطفه ورعايته ، فما بالك يا عمر ، قد اكفهر منك الوجه ، وحال اللون ، وارتجفت الأوصال ، وكأنك لا ترغب أن تجد امرأتك عاتكة معك فى المسجد ، ولا تريد أن تحظى بهذا الفضل الغامر ، والنعمة العظمى ؟ .

وحقاً إنه لا يريدها تخرج من البيت بحال من الأحوال ، وما كادت تنتهى الصلاة حتى طفق يفكر فى إلحاح وإلحاف ، وقد اعتزم أمراً .

وظل هذا السؤال يتردد فى فكره ولا يجد له جواباً :

« لماذا لا تصلى فى البيت ؟ ... إنها جميلة ، وهو يغار عليها ، فلم لا تصلى فى البيت ؟ » .

ولما أعياه الفكر الحائر المضطرب ، اعتزم أن يمنعها من الخروج إلى الصلاة ، بيد أنه تراجع فى هذا الرأى ، ووجد فيه نوعاً من التبعة ؛ وتأنيب الضمير ؛ إذ ماذا يقول لها ؟ أيقول لها : لا تصلى فى مسجد رسول الله ؟! لا لا ، هذا كثير .. إنه لا يجد من نفسه الجرأة أن يقول لها هذا ، مهما كان شعوره واتجاهه .. هو يتمنى أن تصلى فى هذا المكان الطاهر ؛ الذى يعتبر موطناً للسعادة ، ومتعة القلب والروح .. يتمنى أن تصلى فيه حيث تتنزل الرحمات والبركات ، ويفيض الخير العميم ، وحيث النسوة القانتات الطاهرات الصالحات .. إن فى حضورها خيراً كثيراً دون ريب ، ولكن الشىء الذى يؤلمه ويضنيه ويثقل كاهله ، هو سير زوجته وحيدة فى الظلام ، من حين تخرج من البيت قبيل الفجر ، حتى تصل إلى المسجد ، فى هذه الحلكة المضنية ، التى لا يرى الإنسان فيها مواقع قدمه ، ولا يبصر كفه .. وإنه لواثق كل الثقة بها ، ولا يدركه شك فى طهارتها وحسن سلوكها بحال ، ولكن من يدرى ، والنفوس نزاعة إلى الشر ، تواقة إلى الفساد والضلال ، ولا يسلم عصر من العصور من أناس ينصبون أنفسهم

وهو واثق كذلك من الصحابة الأجلاء ، ولكن من يدرى ، فربما يندسّ فيهم من يتطلع إلى هؤلاء النسوة، ويكون جل همه أن يتمتع بالنظر إليهن ، ويسدد إلى زوجته نظرة سوء ؟!

وارتجف بدنه حينما وصل إلى هذا الحد من التفكير ، واضطرب فى عنف وقال فى صوت غير مسموع : هذه ناحية تؤلمنى وتضنينى ، وإن التفكير فيها لتحفُّ به الأشواك الحادة ، التى تخز البدن من حين إلى حين، فماذا أفعل يا رباه ... ؟

إن الطريق الوحيد ، هو أن يمنعها من الذهاب إلى المسجد قبيل الفجر ، فهذا الوقت خطر وأىّ خطر ، فهل يصارحها بما يجول فى فكره، ويوضح لها كل شىء ، ويعلن عن رغبته ، بلا مواربة أو مداراة ؟! .

هذا حل ، وهناك حل آخر ، وهو أن يأمرها بعدم الذهاب إلى المسجد فى هذا الوقت وكفى ، ومن حقه أن يأمرها بما يريد ، وواجب عليها أن تطيع دون مناقشته الحساب ؟ .

إنه لو صارحها لآلمها ، وربما تظن أو تعتقد أنه يرتاب فيها ، أو يشك فى سلوكها ، ولا يطمئن إليها ، وما أسرع ما تسىء المرأة بزوجها الظنون ، وبخاصة فى هذه الناحية الشائكة ، إذن فلن يستطيع مصارحتها ، أو بمعنى أدق ستجلب له هذه المصارحة همًّا هو فى غنى عنه .

ولو كتم عنها ما يشعر به ، ويضنيه على الدوام ، واكتفى بأمره لها بالمنع ، عز عليها ذلك ، ولم يجد من نفسه الجرأة أن يذكر السبب إذا

سألته عنه ، ولا جرم أن الأمر لن يقتصر على هذا ، بل سيمتد الحديث ويطول ، ويتشقق حول هـذا الموضوع ، الأمر الذى لا يريده عمر ، ولا يوافق عليـه ، لأنه يعطى الفرصة السانحة للمتقولين والمخترعين للأحاديث ... !

وأطرق يفكر فى حيلة يمنع بها زوجته من الخروج قبيل الفجر ، دون أن يمس شعورها ، أو يجرح كبرياءها ... إنه يغار عليها أشد الغيرة ؛ وإن قلبه يتلظى فى حرق حامية ملتهبة ، حين يراها فى المسجد مع النسوة ، إنه حاول أن يكبح جماح نفسه من هذه الناحية فلم يستطع ... فهل يلام على هذا الشعور العجيب ؟ .

كلا لا يلام ، فإنه صوت الرسول الكريم ينبعث معلناً أنه « ديوث من لا يغار على زوجته » فهل فعل عمر أكثر من هذا ؟ إن من الواجب أن ينفذ ما اعتزمه ، فهو الطريق الحق ، والصراط السوى .

ولكنه عاد ثانية إلى نفسه يلومها فى عنف وشدة ، فليس من عادته أن يفعل شيئاً فى مثل هذا التكتم الأليم على نفسه إلى حد كبير .. إنه صريح وسيعيش صريحاً ، لا يعرف غير الصراحة ديدناً ، وكفاه أنه حسن النية ، حميد الغاية ؛ لا يرجو غير الخير لها ولنفسه وللناس .

وعادت به الذاكرة قليلا إلى الوراء ، فذكر ما لامرأته عاتكة بنت زيد من مكانة فى النفوس ، واشتهار بالجمال والكمال ، ورجاحة العقل ،

بحبها حبًّا ملك عليه عواطفه ، ومشاعره وأحاسيسه ، حتى أنه جلس يناغيها ويداعبها ذات مرة قبيل صلاة الجمعة ، فمر به أبوه .. أبو بكر رضى الله عنه ، وهو ذاهب إلى المسجد ؛ وأقيمت الصلاة ، وخرج الناس بعدما قضيت الصلاة ، وانتشروا هنا وهناك ، ورجع أبو بكر من الطريق نفسه حيث رأى ابنه يناغى زوجته عاتكة ، فرآه فى العلية كما هو بجانبها يناغيها ، وهو ذاهل عن كل ما حوله ، لا يدرى من أمره شيئاً ، لشدة ما امتلكت عليه نفسه ، فعجب أبو بكر ، ووقف ذاهلا مشدوهاً . ونظر إلى ابنه عبد الله فى غضب ظاهر ، وقال له فى صوت الناقم المستنكر :

— يا عبد الله ... أجمعت ؟ .

وفوجئ عبد الله بهذا السؤال ، وتذكر الصلاة ، وكأنما قد نسى أنّ اليوم يوم الجمعة ، وارتجفت أوصاله ، خوفاً وفزعاً من والده الصدّيق . وقال فى تخاذل مرير :

— أوَ صلى الناس ؟! .

— نعم .

— ...

— لقد ألهتك عاتكة بنت زيد عن واجب ربك .. ألهتك عن فرائض الصلاة .. عن الجمعة يا عبد الله .

وكانت هذه الكلمات لها وقع الصاعقة على رأس عبد الله ، فهو يعلم غضبة والده ؛ وأنه حينما يغضب ، ولا يغضب دائماً إلا لله ، يكون

حاداً فى غضبه ، عنيفاً فى ثورته ، فلاذ بالصمت عسى أن تمر العاصفة .

وقال أبو بكر فى صوت آمر حازم :

— طلقها !! .

ولم يسع عبد الله إلا أن طلقها طلقة واحدة ، ندم بعدها أشد الندم لأنه وجد من حبها أهوالا وآلاماً ، وما أكثر ما قال فيها وأجاد ، ومن شعره فيها :

أعاتك لا أنساكِ ما ذرّ شارق ... وما ناح قمرىّ الحمـــام المطوقُ

أعاتك قلبى كل يوم وليـــلة ... لديك بمـــا تخفى النفوس معلقُ

وظل هكذا يعانى من ألم الشوق ، ما لا يكاد يحتمله إنسان ، أو يطيقه بشر ، حتى أشفق عليه والده ، وأذن له فى مراجعتها ، على أن لا يشغل بها عن عبادة ربه !! .

تذكر عمر بن الخطاب ذلك ، وتذكر أنه تزوج منها بعد مامات عنها عبد الله بن أبى بكر ، وأنها مثال الوفاء والإخلاص ؛ وأن جمالها لم يطغها ، وأنها من النسوة اللائى يندر وجودهن ، لما يجتمع لهن من مميزات كثيرة ترغب فيهن الرجال ؛ وتحبب فيهن الأزواج !! .

ولهذا كله اعتزم على مصارحتها بالحقيقة ناصعة ، لا خفاء فيها ، فقال لها ذات مرة ، فى رفق ولين :

— والله إنك لتعلمين أنى ما أحب هذا .

فأجابت فى إصرار وقوة :

— والله لا أنتهى حتى تنهانى ..!

— إنى لا أنهاكِ ..

ولم يرد أن يحمل وزر منعها من الصلاة فى مسجد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، لما فى هذا المنع من الإثم المبين ..

ولهذا ظلت عاتكة بنت زيد تصلى فى المسجد ، حتى يوم طعنه بتلك اليد الآثمة . يد أبى لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة ..

* * *

ومضت الأيام متتابعة لا تأبه بالحادثات ، ولا تنظر إلى الكوارث والنائبات ، فإن شيئا مما يدور فى العالم لا يعوقها عن التتابع ، والمضى إلى غايتها التى يريد الله أن تصل إليها !.

وتزوجت عاتكة بنت زيد من الزبير بن العوام ، وكانت لا تزال تحتفظ بذلك الجمال الغريب الجذاب ، الذى جعل لها فى التاريخ ذكراً خالداً ، وبخاصة وأنها كانت بادنة ، دقيقة التكوين ، لها ذلك الجسم الذى يحبه العربى ، ويأسر عواطفه وقلبه ، ويملك لبه وفكره .

ولهذا اندلعت نيران الغيرة فى قلب الزبير ، كما اندلعت من قبله فى قلب عمر بن الخطاب ، ولم يعد يرى داعياً لذهابها إلى المسجد بحال من الأحوال ، ولا لخروجها لصلاة الصبح ، فى ذلك الوقت غير المأمون ، وإن أخشى ما يخشاه أن يصيبها مكروه وهى فى طريقها إلى المسجد أو فى عودتها منه ، وهذا ما يحز فى نفسه ويضنيه ، ويجعله فى بحر خِضَمٍّ من اضطراب الفكر وشتاته ، ونهباً للشك والارتياب ..!

وقال لها ذات مرة فى رجاء مخلص ، وعطف كبير :

— يا عاتكة ، لا تخرجى إلى المسجد .

ودهشت لهذا الطلب ، وحارت فى أمرها ، وعجبت لماذا يريد منعها من المسجد ، وقد علم أنها كانت تخرج إليه ، حينما كانت تحت عمر بن الخطاب ؛ الذى لم يستطع بماله من حول وطول ، وغيرة قوية ، أن يمنعها أو يحول بينها و بين المسجد ، فى حين أنه أبدى لها هذه الرغبة مخلصا ، يرحمه الله ؟ ! لا تذهبى إلى المسجد .. لا تذهبى إلى المسجد .. وما الداعى لهذا ؟ وماذا فى ذهابها إلى المسجد ؟ لاشىء سوى الخير ينالها ، والنفع تحصل عليه ، فماذا يحاول الزبير الآن ما حاوله من قبله عمر ؟ إنها لتعلم علم اليقين أن الدافع لهما الغيرة .. غيرة المسلم الذى يحافظ على زوجته ، و يبالغ فى هذه المحافظة ، حتى إنه لايطيق بحال من الأحوال أن يرى عينا تنظر إليها ، أو شخصا يتجه نحوها بكلمة أو إشارة أو غير ذلك ، ولكنها تعرف كيف تحافظ على نفسها إذا دعت الضرورة ، ولزمت الحال ، فلاداعى إذن لهذه الغيرة القاتلة ، التى يقع الزبير فريسة لها الآن ، كما وقع عمر فريسة لها من قبل .. و إنها بطبيعة الحال ستظل على موقفها لاتغيره ، ولا تحيد عنه قيد شعرة ، ولهذا أجابت فى هدوء قائلة :

— يا ابن العوام ..

— لبيك ..

وفكر الزبير قليلا ، ثم قال فى تسليم وخضوع :

— فإنى لا أمنعكِ ..

قالها مرغماً ، ولكنه أخذ يحتال للأمر ، وأصر على منعها بطريقة أخرى توصله إلى غرضه .. إنها الحيلة ، فعليه أن يتذرع بها ، وإنه لواثق من التوفيق إذا ألهمه الله حلاً ملائما ، وحيلة مناسبة تجعلها تنزل على رأيه من تلقاء نفسها ، دون طويل عناء .. أجل ، فلا مانع إذن من التفكير للوصول إلى هذه الحيلة التى توفر عليه ما لايحب أن يشيع عنه ، وما يقع بسببه مضغة فى الأفواه ، تلوكه بحق و بغير حق ، والمتقولون على الناس كثيرون ، لا يكاد يخلو منهم عصر ..

* * *

وملأت البسمة وجه الزبير ، واتقدت عيناه سرورا وفرحا ، وحبورا وطربا ، وكيف لا ، وقد اهتدى إلى الحل الموفق ، والحيلة البارعة ؟ وهدأت نفسه ، وسكن روعه ، وقام إلى عمله يباشره فى هدوء ، و يزاوله فى رضا وطمأنينة ، وهو أسعد الكائنات ..

ولم ير الناس فى هـذا اليوم فى ربوع المدينة ، من هو أكثر نشاطا ومرحا من الزبير بن العوام .. لقد كان كتلة من الفرح والسرور يتحرك هنا وهناك ، و يسير من مكان إلى مكان فى تدفق وقوة !.

وجال فى فكر كل من رآه خاطر ، ولكنه لم يعلن ذلك الخاطر لأحد ، احتراما للزبير ، وتقديرا لمكانته ومنزلته بين الصحابة الأجلاء .

وجنّ الظلام واختلط ، وكان فرح الزبير بهذا الليل الحالك عظيما

وكأن فى هذا الظلام الدامس سراً يفهمه هو دون سواه ، و يعود عليه بالخير العميم .. وظل طوال الليل مسهدا لايهدأ له بال، ولا يغمض له جفن ؛ يغالب النوم والنوم يغالبه ، فيهرب منه حينا ، ثم يعاوده حينا آخر فى قوة عاتية و يكاد يأخذ منه بمعاقد الأجفان ؛ فيقاومه بعنف و إلحاح خشية أن يفوته الميعاد الذى يريد أن يستيقظ فيه قبيل الفجر ، تنفيذا لما انتواه ..

وأفلح الزبير بعد مدة ، وظل مضطجعا كالنائم ، الذى لاتسمع له صوتا ، ولا تحس به ، بيد أنك لو أنعمت النظر فيه لوجدته منتبها يقظان فى انتظار الساعة الرهيبة ، التى يرجو أن يوفقه الله لأداء مهمته فيها كما يحب و يرغب ، دون أن يفتضح أمره ، أو تعلم زوجته بما صمّم عليه ..

* * *

وتسلل الزبير قبيل الفجر، فى تلك الظلمة الحالكة ، وقد هدأ الجو ، وسكن الوجود ، وهو يحمل بين جنبيه قلباً كبيراً شجاعاً جريئاً ، لايعرف فى الحق لومة لائم ، ولا يضيره إذا تمسك به أن يخالفه جميع الناس . سار فى حيطة وحذر ، وهو يعمل ألف حساب وحساب لهذه اللحظة ، التى وُضع برنامجها فى فكره ، وأحاطه بقسط كبير من العناية والاهتمام ، حتى وصل إلى سقيفة بنى ساعدة بالقرب من المسجد ، وجد فيها أمنيته و بغيته ، فاختفى فيها ، والتزم الصمت والهدوء .

كان الزبير فى موضعه المظلم ، يرى السائر ، ولا يراه أحد ، ومن المكان سيرى زوجته، حينما تمر فى طريقها إلى المسجد ؛ ثم عند عودتها إلى البيت، ستمر منه عما قريب .. بيد أن شعورا خالجه ، وعاطفة مبهمة تغلبت

عليه .. لأنه خشى أن تفزع زوجته فى هذه الظلمة المطبقة ، فقد تظنه شيطانا مريداً ، أو جنيا لعينا ، يريد بها شرا ، ويقصد بها مكروها .. أو ربما لا تفزع ولا تخاف ، بل تجد من نفسها الشجاعة الكافية ، والجرأة اللازمة ، فتمسك به فى عنف وقوة ، لتنتقم منـــه ، فينكشف أمره ، ويفتضح حاله ، وينجلى السر الخطير ، الذى يريد أن يكون إلى الأبد طى الكتمان ، لا يعرف به إنسان .. !!

يا لله ! ماذا يفعل الآن ؟ إن هذا التردد لا ينفع ولا يفيد ؛ بل يزيد الموضوع تعقيدا ، وهو الآن يريد أن ينتهى منه فى أسرع وقت ممكن ، حتى يريح نفسه من ذلك الشك الأليم ، الذى يضنيه ويؤلمه ، ولا يكاد يستقر له قرار ، فعليه إذن أن يقدم على عمل ما انتواه ، ولتكن النتيجة كما يريد الله .. وماذا عليه لو افتضح أمره ؟ إنه والحالة هذه يمكنه أن يصارحها بكل شىء ، وإنه سيضمن عفوها وقبول رأيه .. أما انزعاجها ، فهذا ما يرجو ألا يكون ، لئلا يؤذيها ذلك ويضرّ بها .. ولكنه أيضا مطمئن إلى أنها أشجع من هذا بكثير ؛ إذن فلا داعى أبدا للتردد والنكوص ، والتقهقر والاضطراب .

* * *

وكتم الزبير أنفاسه ، وسكن بدنه ، ولم يعد تسمع له حركة ، ولا يتردد له نفس مسموع ، وبقيت عيناه تبرقان بريقا مخيفا حاداً ، تنفذ فى ذلك الظلام الغامر ، وتخترق تلك الحلكة الكثيفة ، التى لا يرى المرء فيها كفه .. وأرهف أذنيه ، وتخيل إليه أنه يسمع أقل حركة مهما كانت خافتة ضئيلة ،

ومضى الوقت طويلا شاقا مملا ؛ ثم إذا بزوجته تمر فى قدم ثابتة ، وشجاعة عجيبة ، وهى ملتفة بردائها ، محتجبة فى هذه الظلمة ، وما كادت تمر بمكانه ، حتى ارتعدت منها الفرائص ، ووقفت مذهولة مضطربة ، ثم صرخت صرخة مكتومة ، وكأنما هى أنين قلب جريح ، وقالت :

مالك ، قطع الله يدك .. !!

وخيل إليها أنها لا تكاد تسمع شيئاً ، ولا تحس بما حولها .. وأنها لا تدرى أين الطريق إلى البيت ، ولا الطريق إلى المسجد .. اشتبهت أمامها الطرق ، وانبهمت المسالك ، وزادت الدنيا ظلاماً ورعبا..!

ومضت فترة لا تدرى مقدارها ، ثم عادت إلى نفسها ، وأدركت أن ما حدث لها حقيقة لا خيال فيه .. وأن من هنا الطريق إلى البيت ..!

رجعت الزوجة الطاهرة النقية ترتعد هولا ، وترتعش خوفا ، ويهتز بدنها فى عنف ، وحنق غيظ .. ترى مَن ذلك الخبيث الذى فعل مافعل ؟ أهكذا يمس بدنها و يلوذ بالفرار ؟ ماذا كان يريد منها ؟ يالله ! كيف يكون هذا فى العصر الذى نشر فيه الرسول الكريم نور الإيمان والتقوى ، وبذر فى القلوب بذور الهدى والصلاح ، فدخل الضوء كل بيت ، ونشر أعلامه فى كل مكان ، واجتث الفسق من أصوله ، وقوّض دعائم الإثم والفجور كيف يكون هذا ؟ كيف

أيوجد فى هذا العصر الطاهر النقى من يترصد لامرأة تسعى إلى المسجد و يلمس بدنها ! .. ياللهول والنقمة ! ياللثأر للشرف والعرض ! الثأر

العاصف ، والانتقام المروّع من هذا الزنيم الآثم ، الذى يحاول الاعتداء على أعراض الناس ، على هذه الصورة النكراء ؟ ! .

هذا الليل الجميل ، الذى يتخذ منه المؤمنون فرصة للعبادة والسهر ، والصلاة والذكر ، والتقرب إلى الله العلى الكبير . . يتخذ منه هذا المجرم فرصة للشر ، وستراً للوصول إلى مآربه فى قحة وجرأة إلى هذا الحد ، وكأنما لا يخشى إلها خلقه وسواه ؟ ! .

كيف غفل هذا الفاجر عن الله ، وأنه يراه و يسمعه ، و يعلم خفايا نفسه ، و بواطن فؤاده ، وخوالج فكره ؟ كيف غفل عن مراقبة ربه ، ولاذ بهذه الظلمة المتراكبة الكثيفة ، ليعيث فى الأرض فسادا ؟ ! .

إن هذا لا يطاق . . يجب أن تعود إلى هذا الفاجر ؛ لتبحث عنه ، فتفصل رأسه عن جسده ، بضربة من سيف باتر مرهف . . إنها أخطأت لا جرم ؛ لأنها لم تقبض عليه ثم تستنجد وتستغيث . . إنها لو فعلت لأقبل إليها الناس من كل حدب وصوب ، وكالوا له الضربات التى يستحقها ، ولنال نصيبه من الإهانة ، التى لا تدعه بعد ذلك ينعم بالحياة ! .

أجل كان عليها أن تمسك به حتى ينال هذا الجزاء الأليم ، فيرتدع على الأقل ، عن ذلك العبث البارد ، والمجون المهين ، والفساد الكبير ! .

إنه الآن فعل ما فعل ، ومع هذا هو فى مأمن من العقاب الشديد ، والعذاب الأليم ؛ ثم هو ربما يفكر فى صيد آخر ، مادام قد أفلت منه ذلك الصيد ، ولم يتمكن من إيقاعه فى شراكه ومخالبه ؟! .

هذا وباء ، كان عليها أن تجتثه من أصوله ، وداء كان عليها أن تستأصله

من جذوره ، فكيف فاتها ذلك ، وهى امرأة من لا يفلت منه الزمام ، فى مثل هذا بحال من الأحوال ؟ ! إنها فى الواقع لها عذرها . . لقد أخذت على غرة ، وتملكها شعور الأنثى من الخوف والوجل ، والضعف والاضطراب ، والذهول فى مثل هذه المواقف المفاجئة ، فلاذت بالفرار ، بعد ما ظلت مدة ذاهلة حائرة . . ! !

ترى هل تقص خبر ما حدث على زوجها ، وتفضى إليه بكل شىء أم تكتم عنه الأمر ، فتلوذ بالصمت ، وتخفى عنه خبر ما كان ؟ !

إنها كزوجة يجب أن تخبر زوجها بكل ماحدث ، ثم تدع له مطلق التصرف فى الأمر ، فإن شاء تركها تذهب إلى المسجد كعادتها ، وإن شاء منعها من الذهاب ، وغالباً أنه سوف يستقر على هذا رأيه ، وهو محق إن فعل ، وهذا دون ريب ما يتمنى ، ويحاول من زمن بعيد .

بيد أنها عادت إلى نفسها ، وفكرت فى الأمر بعين الحكمة والعقل ، وتركت العاطفة جانبا ، فما يجدر بالمرء أن يندفع مع العاطفة فى مثل هذه المواقف ، إذ أنه من الحكمة أن لا تشيع هذا الحادث المهين ؛ وإلا فالزبير لن يتمالك نفسه من الغضب والثورة ، فيندفع بعامل الغيرة الشديدة ، وتجرفه الحمية الملحّة جرفا ، فيقع ما لا تحمد عقباه . .

غير أن كتمان هذا الأمر يؤلم ضميرها ، وان يرتاح خاطرها إليه ، ولن تهنأ بعيش ، أو حياة ما دامت تكتمه وتخفيه . . ومن الإنصاف لزوجها ، والوفاء له ، أن تخبره بكل شىء ، وتحدثه عما يجول فى خاطرها ، ويعتمل فى نفسها من أحاسيس ! !

يالله ! وماذا تكون النتيجة الآن ، وقد فسد الزمان إلى هذا الحد ؟ إن الحل الوحيد أن لاتذهب إلى المسجد وتكتفى بالصلاة فى البيت . .

بيد أنها يؤلمها جداً أن تفوتها الجماعة مع زميلاتها ، وأن تحرم من الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . هذا أليم وشاق على نفسها ، ولكنه أهون من التعرض للسفلة وأدنياء النفوس ، ودعاة السوء ، وأسلم للعرض والشرف ، والله عنده حسن الثواب . . ! !

* * *

ودخل عليها الزبير وهى على هذه الحال . .

وبدا عليه العجب والدهشة ، لأنها فى صحة وعافية ، ثم سألها :

— لماذا تأخرت عن الصلاة اليوم ، ولست بمريضة ؟ .

وصمتت حينا ، فلقد أصبحت أمام الأمر الواقع ، ولا بد أن تعلن الحقيقة ، ولكن فى شىء من اللباقة ، فقالت والألم يحز فى نفسها ، وفؤادها يرهقه الهم ، ويضنيه النقمة على ذلك المتربص الفاجر :

— يرحمك الله ، لقد فسد الزمان يا أبا عبد الله . . !!

ولم تزد على ذلك حرفا . .

وفهم الزبير كل شىء . . !!